التعريف بكتاب إظهار المنة على المبشرين بالجنة

لأبي سالم العياشي

دراسة وتحقيق د خليل محاح

الدكتور خليل محاح

باحث في العلوم الشرعية

المغرب

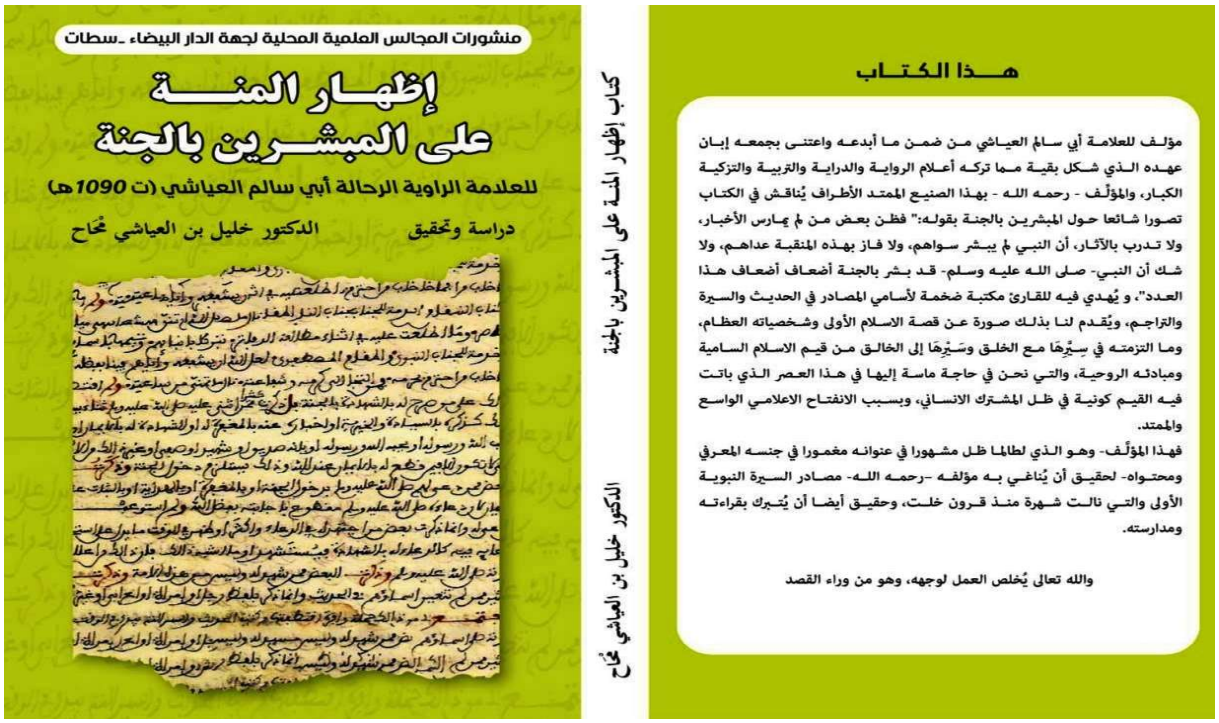

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الباعث رسوله محمدا رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما سرمديين إلى يوم الدين، وارض اللهم عن آل بيته الطاهرين وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيام لرب العالمين، وبعد؛

فإن من تأمل عطاءات علمائنا الأفذاذ في شتى ميادين المعرفة الإنسانية الممتدة الفروع عبر التاريخ أدرك أن للمغرب حضارة عريقة دونت جهود رجال وأعلام كبار في التصوف والتربية والتزكية ظلت أحيانا جهودهم تحتاج من يعرف بها ويبرز إسهاماتهم في مجالات معرفية ذات الصلة بالتصوف باعتباره مكونا للأمة المغربية وثابتا ممتد الأطراف في باقي الفروع العلمية الشرعية، ولعل الآثار العلمية لأبي سالم العياشي المغربي (ت:1090هـ) تندرج في الإطار السابق ذكره، فرغم شهرة هذا العلامة الجليل من خلال رحلته الشهيرة المسماة "ماء الموائد "، والتي انتشر ذكرها في الآفاق لم تنل كل آثاره العلمية —في تقديري–العناية التي تستحقها من الدراسة والتحقيق والتعريف، ومعرفتي الأولى بأبي سالم العياشي كانت من خلال الاطلاع على كتابه هذا الرحلة العياشية الحجازية، وهي التي لطالما صادفني عنوانها في المراجع المقدمة والمعتمدة ضمن فهارس أغلب الدراسات والبحوث العلمية التي اطلعت عليها في حقول معرفية عدة، كالفقه والحديث والدراسات القرآنية والنوازل والتاريخ والرحلات والأشعار وغيرها،والمتتبع لمسار الدراسات والمنشورات العلمية عن مؤلِّف هذا الكتاب العلامة أبي سالم العياشي يُدرك أن الاهتمام بالفكر الصوفي هيمن على المؤلفات التي تُعنى بهذا العلَم عند كل دارس لسيرته وآثاره العلمية؛ بل إن البحث في العطاءات العلمية لأمثاله من العلماء اقتصر على إخراج ما كان له صلة

بالتصوف دراسة وتحقيقا؛ والواقع أن هذا العَلَم له إسهامات علمية في مجالات أخرى، وتشهد لذلك مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة لحد الآن، ومن أعماله الجليلة كتاب إظهار المنة على المبشرين بالجنة وهو في السيرة والصحابة غير أنه ذا حمولة كبيرة في التزكية والتصوف ويبرز إسهام هذا العلم الجليل في حقل السيرة النبوية على غرار الأعلام الكبار في حضارة المغرب،والمؤلف أبو سالم رحمه الله يعتبر من كبار العلماء الربانيين الذين شرفت بهم المملكة المغربية خلال القرن الحادي عشر الهجري، والذين عمروا قليلا وألفوا كثيرا، خاصة في مجال الحديث الشريف والتصوف، وقل من العلماء اليوم من يجمع بين الفنين، وهو ينتمي إلى سجلماسة[1] الأرض الطيبة المحبوبة عنده، وهي التي لطالما صَعُبَ عليه فراقها أثناء الأسفار والرحلات، وحَنَّ إليها في غيابه، وسأل عن أحوالها غيره من أهلها كما تؤكده العديد من النصوص في رحلته ماء الموائد، وهي أرض ذات تاريخ عريق، ومعدن للعلم والعلماء، وقد أثنى أبو سالم على هذه البلاد كثيرا في رحلته الحجازية، واعتبرها أرض نعم وخير وصلاح، وفي هذا البحث نبرز إسهامه في السيرة وتراجم الصحابة من خلال التعريف بكتابه إظهار المنة والذي كان لي شرف العناية به وتحقيق متنه محاولين إبراز الخصائص الصوفية ومعجم أهل التصوف في الكتاب باعتبار التربية الصوفية تظل تحكم عطاءات أبي سالم العياشي ولو في فروع معرفية أخرى وسيمون ذلك وفق المحاور الآتية:.

المحور الأول: كتاب إظهار المنة المحتوى والمضامين

تظهر أهمية هذا الكتاب في موضوعه من خلال الحديث عن جوانب من سيرة النبي-عليه الصلاة والسلام-وآل بيته الأطهار ومناقب الصحابة الأخيار – رضي الله عنهم-، ولخدمة هذا الموضوع سَخَّرَ أبو سالم العياشي – رحمه الله –كل ما مَنَّ الله تعالى عليه به من مواهب علمية لبناء هذا الكتاب؛ حيث ضَمَّنَهُ تجربته الحديثية ورواياته ،كما أن آثار رحلاته بادية في المؤلَّف من خلال ما جمع أثناءها من مرويات ومصنفات رواها عن عدد من الشيوخ الذين لقيهم وزارهم خلال رحلاته، حيث بَيَّنَ كل ذلك وفق منهج علمي محكم عَبَّرَ عن إبداع فكري رائع، ونبوغ مغربي في السيرة والحديث النبويين، وذلك من خلال المزج بينهما في كتاب واحد شكل مصنفا رائعا ومُتناوِلاً لقضية جليلة في السيرة النبوية وتاريخ الصحابة الكرام، ولقد درج العلماء –رحمهم الله– على بيان منزلة علم الصحابة وشرفه وأهميته، وللعلامة ابن عبد البر (ت 463هـ) في مقدمة كتابه الاستيعاب كلام نفيس في هذا الباب، حيث يقول ما نصه: " إن أولى ما نظر فيه الطالب، وعَنِي به العالم-بعد كتاب الله عز وجل-سنن رسوله-ﷺ-، فهي المبينة لمراد الله – عز وجل-من مجملات كتابه والدالة على حدوده والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله، من اتبعها اهتدى، ومن سلك غير سبيلها ضَلَّ وغوى، ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم-ﷺ-إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وَعَوْهَا وأَدَّوها ناصحين محسنين، حتى كَمُلَ بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله–تعالى-على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله-عز وجل-عليهم وثناء رسوله-عليه السلام-، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه "[2]

ولقد رسم أبو سالم العياشي-رحمه الله تعالى-في هذا الكتاب فكره، وأورد فيه قواعد واصطلاحات حديثية، وإشارات إلى عدد من التآليف الحديثية التي جرد منها النصوص المعتمدة في هذا الكتاب، وهكذا جاء كتاب إظهار المنة على المبشرين بالجنة فريدا في هذا الباب من السيرة النبوية وحياة الصحابة-رضي الله تعالى عنهم-والتي أولاها علماء السيرة عناية كبرى، إلا أننا نجد العلامة أبا سالم العياشي يعالج هنا قضية لها ارتباط وثيق بسير بعض قرابة النبي-ﷺ-و الصحابة الكرام، و تأسيسا على الملحوظات التي نتجت عن خدمة هذا المتن يمكن القول:

إن القضية الأساس التي تتفرع عنها الأبواب والفصول المتضمنة في هذا الكتاب هي: من بشرهم النبي-ﷺ- بالجنة، خطها المؤلف وفق منهج علمي محكم يدل على نبوغ مغربي في مجال الحديث والسيرة النبوية، وهو جانب فريد قل تناوله في كتب التراجم والسير الخاصة بهؤلاء الأعلام الذين ذكروا في هذا الكتاب، فمنهم من له شهرة تفوق العشرة المبشرين ولم يذكر أنه من أهل البشارة بالجنة فجاء المؤلف- رحمه الله تعالى-لإظهار هذه المنة الكبرى على هؤلاء المبشرين بالجنة.

ويقول المؤلف - رحمه الله تعالى-حول سبب كتابة هذا التأليف "وشاع ذلك وذاع، فامتلأت منه القلوب والأسماع، حتى صار اسم المبشرين مهما أطلق علما لهم بالغلبة دون من سواهم ممن لقي الرسول وصحبه، فظن بعض من لم يمارس الأخبار، ولا تدرب بالآثار، أن النبي ﷺ لم يبشر سواهم، ولا فاز بهذه المنقبة من عداهم، ولا شك أن النبي ﷺ قد بشر بالجنة أضعاف أضعاف هذا العدد"[3] إن هذا الكلام للمؤلف . رحمه الله . فيه إشارة واضحة إلى أن موضوع التأليف الذي يتناوله هو تصحيح الشائع لدى الناس عبر العصور من أن عدد المشهود لهم بالجنة ينحصر في العشر ،بيد أن مطالعة الكتب الحديثية تظهر خلاف ذلك، وهو الأمر الذي عمل المؤلف على توضيحه وإيراد الحجج عليه بالنقول والآثار الشرعية في كل باب من أبواب هذا الكتاب، وبذلك تعد هذه الفكرة المسألة الأساسية التي بنيت عليها باقي فصول الكتاب الأخرى من خلال إيراد الحجج الحديثية الدالة عليها، والمؤلف-رحمه الله تعالى-بهذا الموضوع النادر يطرق بابا كبيرا في السيرة النبوية وحياة الصحابة-رضي الله تعالى عنهم – وفيه استدراك على الأولين .

فالخطاب إذن في قول المؤلف: " فظن بعض من لم يمارس الآثار ..." فهو وإن كان على التجريد فإنه موجه لمن كان سببا في تأليف هذا الكتاب، وهو أيضا على العموم صالح لكل من توفر فيه أمران:

الأول: من ليس له مخالطة لكتب الحديث والأثر بسبب ضعف الرواية في زمن المؤلف – رحمه الله-.

الثاني: من كان له هذا التصور بأن البشارة بالجنة محصورة في العشرة المشهورين فقط.

ومن هنا فإن السبب العام لكتابة الكتاب هو ما كانت تعانيه علوم الحديث من ضعف وسيادة التقليد والجمود، وعدم الاجتهاد في فهم المراد بالنصوص الحديثية في عهد المؤلف، مما نتج عنه سوء فهم بعض الأحاديث، ومن ذلك القضية الأساس التي يروم الكتاب معالجتها، حيث شاع قصر البشارة بالجنة على العشرة دون سواهم، وفي ذلك إهمال لعدد من النصوص الحديثية الأخرى، وهي التي جمعها المؤلف هاهنا، وقد يكون سبب خاص آخر عقدي يتصل بالذب عن الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-.[4]

فالكتاب إذن بموضوعه هذا يهدف تسليط الضياء على مسألة يتداخل فيها الجانب الحديثي وجانب السيرة النبوية العطرة فيما خَصَّ الله به هؤلاء الصحابة الكرام من مِنَّةِ البشارة بالجنة، أمر آخر لابد من الإشارة إليه هاهنا وهو أن جانب الإسلام الروحي يقوم على القدوة والنموذج الأكمل في التدين، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة سيرة هؤلاء الصحابة الكرام، وحياتهم التي تظهر لنا السياق التاريخي الذي ظهر فيه دين الإسلام، والصورة الأولى لمجتمع الإسلام الأول، ومن هنا تكمن أهمية هذا الموضوع الذي يقف عنده هذا المخطوط القيم في التنبيه على علو منزلة الصحابة الكرام، وتصحيح مفهوم البشارة بالجنة.

المحور الثاني: كتاب إظهار المنة المنهج والسمات

تبرز في الكتاب موضوع الدراسة والتحقيق خصائص جمة منهجا وموضوعا جعلت منه تأليفا نادرا في هذا الباب الجامع بين الحديث النبوي وسيرة الرسول . عليه الصلاة والسلام . وصحبه الكرام، نذكر منها:

أولا: خاصية الإيجاز في الأسلوب

يلحظ القارئ لكتاب إظهار المنة طابع الإيجاز في الأسلوب والدقة في اختيار العبارات المناسبة، وهذا النهج الذي سلكه العياشي رحمه الله في هذا الكتاب ظهر من خلال:

-حسن اختيار المفردات المناسبة للمضمون، وهو أمر جلي في الكتاب في كل الأبواب فالمؤلف-رحمه الله تعالى-يعبر بأقل العبارات عن المقصود، يقول في المقدمة: "وذكرت القليل ممن ساوى ما ذكر لضيق الوقت وطلبا للاختصار"[5].

-البعد عن الإطالة في الموضوعات التي يعالجها الكتاب، وهذا – في نظري – من أعظم سمات الكتاب، وفيها مخالفة لكتب السيرة النبوية التي تتميز في معظمها بكثرة التفاصيل والجزئيات.

ثانيا: خاصية تقسيم الكتاب وتبويبه

بمنهج علمي محكم قسم المؤلف-رحمه الله-الكتاب وفق خطة ذكرها في المقدمة حيث يقول: "ورتبته على مقدمة وستة أبواب وخاتمة. المقدمة: في بعض فضائل الصحابة على الجملة. الباب الأول: في أهل بيته-ﷺ-وفيه فصول. الباب الثاني: في العشرة وفيه فصول. الباب الثالث: فيمن عين باسمه. الباب الرابع: في النساء . الباب الخامس: فيمن لم يتعين باسمه. الباب السادس: فيمن ذكر من التابعين وتابعيهم بإحسان.

خاتمة: في بعض فضائل الأمة."[6]

بهذا التصميم المحكم رسم العياشي هذا المؤلف، فكان من نتائج ذلك أن ظهر الكتاب في قالب يطبعه التقسيم في الموضوع والترتيب إلى أبواب وفصول ومقدمة وخاتمة وتنبيهات وفوائد، حيث إن الناظر في متن الكتاب يدرك ذلك، ويقف على عدة فوائد ذات صلة بالموضوع، وأحيانا بعض الفوائد في علوم أخرى.

ثالثا: خاصية الحس الحديثي في كتاب إظهار المنة

يلحظ القارئ لهذا الكتاب أن هذا المؤلف مادة حديثية تضم أحاديث عديدة، فنحن أمام تصنيف في الحديث النبوي، وكان للتقسيم والتبويب السابق ذكره أثر كبير في توزيع هذه النصوص الحديثية وفق الأبواب والفصول التابعة لها، وتظهر هذه الصبغة للكتاب من خلال:

-الحس الحديثي للمؤلف والواضح في المتن، والذي فيه أحيانا إشارات إلى قواعد ومصطلحات في علوم الحديث.[7]

-كثرة المصادر الحديثية التي عزا إليها المؤلف الأحاديث وتعددها، حيث تتوزع بين الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وكتب السير والتراجم وغيرها، وهذا الأمر بين في النص المحقق.

-عزو الأحاديث إلى مصادرها، ومثال ذلك قول المؤلف: " روى الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني وسند الأوليين حسن عائشة رضي الله عنها قالت: "أهدي لرسول الله ﷺ قلادات ..." الحديث[8]

-الحكم على بعض أسانيدها بالصحة أو الضعف، وهي خاصية تلفت انتباه القارئ لهذا المتن، ومثالها ما قاله المؤلف-رحمه الله- : "روى الطبراني بسند واه عن أبي رافع رضي الله عنه عن رسول الله-ﷺ-قال: أنا أول أربعة يدخلون الجنة .."الحديث.[9]

وهذه الأحكام على بعض الأحاديث –كما اتضح من خلال التحقيق – يبدو فيها العياشي أحيانا مجتهدا وأحيانا مقلدا لعدد من العلماء من أمثال محمد بن يوسف الصالحي صاحب سيرة سبل الهدى والرشاد، ونور الدين الهيثمي في المجمع.

رابعا: الأساليب الأدبية في كتاب إظهار المنة

من الواضح أن أبا سالم رحمه الله تعالى قد كسا كتاب إظهار المنة حلية أدبية زادته بهاء وجذبا للقارئ حين يتتبعه، ومن ملامح هذا الحس الأدبي للمؤلف . رحمه الله تعالى في هذا الكتاب نذكر:

الأساليب البلاغية مثل: السجع.

الاقتباس من آيات القرآن الكريم وكتب التصوف[10] أيضا .

خامسا: خاصية النسق التاريخي في كتاب إظهار المنة

من القضايا التي تلفت انتباه القارئ لهذا الكتاب قضية النسق التاريخي، والمراد به هاهنا أن العياشي-رحمه الله- قد وضع الفصول والأبواب مراعيا في ذلك عامل الزمن، ومن معالم ذلك في الكتاب:

وجود إشارات تاريخية إلى بعض الحوادث التاريخية حين ترجمة بعض الأعلام الذين كانت لهم صلة بهذه الحوادث المذكورة.[11]

مراعاة المؤلف السابقة التاريخية لقرابة رسول الله-ﷺ-والصحابة والتابعين، ومبينا في الآن نفسه ما لكل واحد من المبشرين بالجنة في ذلك من السابقة والفضل.[12]

وقد ذكر كتاب الله-تعالى-هذا الأمر في آيات عدة منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾. سورة التوبة / جزء من الآية 101.

إن هذه الخصائص السابق ذكرها تدل بوضوح على المكانة الكبرى التي تبوؤها هذا الكتاب بين تآليف العلامة أبي سالم العياشي في الحديث والسيرة النبوية الشريفة.

وأما من حيث الخصائص المميزة للنص؛ فلقد وجدت في هذا الكتاب سمات وخصائص هامة تدل على نبوغ مؤلفه –رحمه الله تعالى-في علم الحديث النبوي، وتمكنه من منهج علمي محكم في هذا الباب، حيث ظهر ذلك من خلال و قوفي خلال مرحلة إخراج النص على إبداعات متنوعة للمصنف-رحمه الله-في حقل السيرة النبوية وحياة الصحابة الكرام ومناقبهم، وفي السياق نفسه قدم المؤلف أيضا تنبيهات في كل فصل تعد ترجيحات أو تصحيحا لما هو شائع في التصانيف ذات الصلة بالموضوع سواء منها التي كتبت في عصره أو قبله، وفوائد ذات صلة بالموضوع أرشد إليها كل قارئ لهذا الكتاب .

وفي إطار التأسيس المنهجي والبناء في قالب منسجم يَشُدُّ بعضه بعضا لقضية الكتاب؛ و التي هي الوقوف عند حصر المبشرين بالجنة من الأمة المحمدية ومن خارجها ومحاولة تصحيح الشائع حول الصحابة الكرام في هذا الباب حول من مَنَّ الله عليه بهذه المنة،

ومن أجل ذلك كله جعل المؤلف لهذه القضية في الكتاب أبوابا وفصولا متوالية، مراعيا في ذلك تسلسلا فريدا قوامه القرابة للنبي عليه الصلاة والسلام والتاريخ والفضل والسابقة عَدَا الباب الثالث من الكتاب فقد نهج فيه ترتيبا ألفبائيا

المحور الثالث: كتاب إظهار المنة وآثاره في حقل السيرة النبوية

إن المتأمل في متن هذا الكتاب القيم يجد أن فيه إبداعات كبرى قل نظيرها في كتب السيرة النبوية، ومن هنا فإن المؤلف–رحمه الله تعالى – أكمل اللبنة التي شيدها من سبقه من علماء السيرة النبوية، حيث أدت به سعة اطلاعه إلى إبداعات في هذا المجال.

أولا: تجديد مفهوم إطلاق عَلَمِية ووصف المبشرين بالجنة

في بداية الكتاب ذكر العياشي–رحمه الله–أن وصف المبشرين صار فقط خاصا بالعشرة المشهود لهم بالجنة، ولعل هذا من أهم الأسباب وراء تأليف الكتاب، يقول–رحمه الله–: "

فإن من المعلوم المشتهر على الألسنة، حتى كاد أن يكون من القضايا التي هي بنفسها بينة، أن العشرة من أصحاب المصطفى–ﷺ–أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمان بن عوف وأبا عبيدة بن الجراح–رضي الله تعالى عن جمعهم السالم، وأدخل في حماهم عبده أبا سالم– ،بشرهم رسول الله–ﷺ–بدخول الجنة، وأن الله جعل بينهم وبين عذابه أقوى جنة، عناية سبقت لهم من المولى الكريم، ومنقبة منحوها من خزائن جوده العميم، لما اختارهم لصحبة نبيه المبعوث بالحق ،ومصطفاه من الخلق، وشاع ذلك وذاع، فامتلأت منه القلوب والأسماع، حتى صار اسم المبشرين مهما أطلق علما لهم بالغلبة دون من سواهم ممن لقي الرسول وصحبه، فظن بعض من لم يمارس الأخبار، ولا تدرب بالآثار، أن النبي–ﷺ.–لم يبشر سواهم، ولا فاز بهذه المنقبة عداهم[13]".

بهذا التأليف هاهنا جدد أبو سالم رحمه الله مفهوم البشارة بالجنة وأعداد المبشرين، وقَوَّمَ الشائع لدى الناس من كون البشارة في العشرة من الأصحاب المشهورين فحسب، وتأسيسا عليه فهو يؤكد في مقدمة الكتاب في إطار تجديد هذا المفهوم على:

عدم حصر المبشرين في العشرة المشهود لهم بالجنة.

وجود مبشرين بالجنة من خارج هذه الأمة، حيث أشار المؤلف–رحمه الله –إلى لقمان والنجاشي ومؤمن آل فرعون ومؤمن آل ياسين.[14]

عدم إغفال وجود مبشرين غير العشرة وردت فيهم روايات صحاح.

توسيع صيغ التبشير الواردة في الأحاديث النبوية، يقول المؤلف في هذا السياق: " ولم أقتصر من ذلك على من صرح له بالشهادة بالجنة، بل ذكرت كثيرا ممن أثنى عليه–ﷺ–ثناء يستلزم ذلك، كذكره بالسيادة والخيرية وإخباره عنه بالمغفرة له، أو الشهادة له بالإيمان، أو بأنه يحب الله ورسوله، أو بأنه صِدِّيقٌ أو شهيد أوصفي، أو غير ذلك من الأوصاف التي لا تكون إلا فيمن قطع له بالإيمان عند الله، وذلك يستلزم دخول الجنة، وذكرت البعض ممن دعا لهم–ﷺ–بدخول الجنة، أو بالمغفرة أو بالهداية، أو الثبات على الإيمان، لأن دعائه–ﷺ–مقطوع بإجابته بفضل الله، ولم أستوعب من دعا له وإنما ذكرت بعض من اجتهد له بالدعاء وأكثر أو أظهر في الوقت ما يَدُلُّ على استجابة دعائه فيه، كالدعاء له بالشهادة فيستشهد، أو ما أشبه ذلك، فإن ذلك من أعلام نبوته– ﷺ–، وذكرت البعض ممن شهد له وليس من هذه الأمة، وذكرت الكثير ممن لم تتعين أسماؤهم في الحديث، وإنما ذكر بلفظ رجل أو امرأة

أو أعرابي، أو غير ذلك[15]. فاجتمع لي من ذلك جملة وافرة اقتطفتها من كتب الحديث والسير التي بيدي في الوقت"[16]، فالكتاب إذن تجديد وتوسيع لمفهوم البشارة بالجنة الواردة في الأحاديث النبوية، حيث جدد أبو سالم الرؤية العلمية إلى هذه الأحاديث وما نتج عنها من أفكار، إضافة إلى ما شاع عند الناس عبر العصور من مفهوم البشارة بالجنة لا يحق وصف أحد به من غير العشرة بالمبشرين بالجنة[17].

بهذه المبادئ إذن التي أسس لها العياشي في هذا الكتاب يكون تجديد هذا المفهوم هو الإضافة الأهم التي قدمها الكتاب في علم السيرة النبوية.

ثانيا: آثار كتاب إظهار المنة في علم السيرة النبوية

وتظهر هذه الآثار في الفوائد الآتي ذكرها:

– التعريف بعدد من أعلام الصحابة والتابعين المغمورة أسماؤهم وإظهار المكانة التي يستحقونها في النفوس.

– إظهار حق ومرتبة بعض المبشرين الذين وردت فيهم أخبار لا تقل في الصحة عن الأخبار الواردة في العشرة المشهورة أسماؤهم، يقول المؤلف: "وإن كانت الأخبار الواردة في كثير ممن سواهم لم تبلغ في الشهرة والصحة مبلغ ما ورد فيهم".[18]

– بيان جانب مغمور في ترجمة هؤلاء الأعلام، فكم من واحد منهم معروف وله ما له من مكانة في النفوس وبشر بالجنة في أحاديث عديدة ولا يذكر في ترجمته أنه من المشهود لهم بالجنة.

– إظهار جوانب من عناية المغاربة بالسيرة النبوية، وأنها تراث أصيل لا يزال معظمه في عداد المخطوطات، وأنه لا يمكن الحكم على التراث المغربي في السيرة إلا باستكمال عملية التحقيق لجل التصانيف في هذا الباب.

– معرفة الصحابة وهي وثيقة الصلة بالسيرة النبوية، إذ هم رجال عصر المبعث، وشهود أحداثه، وجنود مغازيه، وقادة سراياه، ومدار وقائعه، وإليهم المرجع في تاريخ السيرة النبوية وفي الدلائل والشمائل والسجايا.[19]

إن هذا الذي ذُكر يعد جزءا من الإضافات التي كشف عنها المؤلف–رحمه الله تعالى–فالكتاب حافل بالإضافات والفوائد والآثار العلمية.

خامسا: أسلوب الكتاب ومنهجه في تعداد المبشرين

قدم المؤلف رحمه الله متن هذا الكتاب بأسلوب محكم طابعه الإيجاز، قال المؤلف: " وتركت الكثير مما ساوى ما ذكر لضيق الوقت وطلبا للاختصار."[20]

وفي الخاتمة ورد القول أيضا في النسخة نفسها: "وفي تتبع ذلك ما يطول ذكره وقصدنا الاختصار"[21]، ويضاف إلى ذلك التقسيم والترتيب الزمني المحكم المراعي لطبقات الأعلام المذكورين في الكتاب، كل ذلك بمنهجية علمية محكمة تشكل نموذجا من السبق العلمي حيث لا تزال معالمه مستمرة إلى اليوم في البحوث والدراسات العلمية.

ويضاف إلى ذلك أيضا "الحس التاريخي لدى أبي سالم الذي يبرز بالأساس في تحديد الزمن، ثم الاستشهاد بالوثائق، والتشدد في مسألة الاكتفاء بالنقل دون الرجوع إلى المصدر الأصلي، وقد اعتمد على أسلوب الإحالة على المصادر في تأليفه وحمد الله على كونه ينقل بعد الاطلاع ".[22]

ويمكن القول أيضا: إن هنالك خاصية أخرى تضاف في هذا السياق؛ وهي العناية برمزية البقاع والإشارة إلى بلدان أهل العلم، خاصة وأن العياشي علامة رحالة-كما هو معروف-، ويظهر هذا الأمر في الكتاب من خلال عدد من الإشارات إلى عدة بقاع.

ومما يدل على ذلك أن العياشي-رحمه الله-كان له حس توثيقي زماني ومكاني أيضا يكمن في الإحالة على الكتب بأسمائها، بل وبأسماء مؤلفيها أيضا، من ذلك في هذا المتن موضوع الدراسة-بعد ذكر رواية الجني قرين النبي عليه الصلاة والسلام-ورد القول: " من كتاب" الجامع لما في المؤلفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضائل والأحلام"، فرغ من ترتيبه مؤلفه عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرُّعيني الأندلسي المالقي في منسلخ سنة ثمان وعشرين وستمائة بمنزله بدمشق. انتهى. وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ"[23]، ومما يزيد هذه الخاصية بيانا ذكر العياشي في جل تآليفه لما توفر له، وما حضره من تآليف العلماء واعتمدها حين كان يكتب، فيرشد القارئ إليها، ويحيله عليها ليراجعها من أشكل عليه شيء من ذلك المكتوب، كما تكثر في النص العبارات المنتمية إلى حقل الأسلوب التفسيري من خلال حضور السرد والوصف والبيان، وعرض الفكرة ثم بيانها بالحجج والأحاديث النبوية الدالة على المقصود.

وقد اتبع أبو سالم العياشي في تعداد المبشرين بالجنة في هذا الكتاب المنهج الآتي:

أولا: عدم التصريح بعدد محدود للمبشرين بالجنة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كونه جعل الباب الخامس في المبشرين بالجنة على غير التعيين وعرض الروايات الحديثية الدالة عليهم.

ثانيا: التصريح في مطلع الكتاب أن البشارة تتجاوز العشرة المشهود لهم بالجنة حيث يقول: "ولا شك أن النبي-ﷺ-قد بشر بالجنة أضعاف أضعاف هذا العدد"[24]

والمراد بالعدد هاهنا هو العشرة المشهود لهم بالجنة، والواردة أساميهم في الحديث النبوي.

فهي إذن إشارة من العياشي — رحمه الله — أن عدد المبشرين كثير وهو أضعاف أضعاف العشرات؛ بمعنى أن العدد يصل إلى المئات من المبشرين — والله أعلم-، وهي منة خَصَّ الله بها هذه الأمة. شريفة حول هذا الموضوع.

المحور الرابع:حضور المعجم الصوفي في كتاب:" إظهار المنة على المبشرين بالجنة" :

إن التربية الصوفية التي تلقاها أبو سالم العياشي كانت لها آثار واضحة في مؤلفاته وكتاب إظهار المنة خير مثال على ذلك، ومن ملامح هذا الحضور المعجم الصوفي الوارد في هذا الكتاب والمتمثل في:

- المحبة والشوق إلى الصحابة والتابعين من خلال الحديث عنهم بصيغ التعظيم والترضي عليهم وبيان فضلهم ومزيتهم.
- وجود عبارات من كتب التصوف في الكتاب.
- التواضع والتذلل في مقدمة الكتاب وهو شأن العياشي في كل التآليف.
- أثر التربية الصوفية بين في احترام الشيوخ والدعاء لهم.

– السيادة والتعظيم لرسول–الله صلى عليه وسلم– والأدب مع الجناب النبوي والصحابة والتابعين وكذلك شأن أهل التربية والسلوك، فعبارات سيدنا ومولانا احتلت مكانا كبيرا في الكتاب.

ولهذا الاعتبار درج عدد من الباحثين ـ كما أشير سابقا ـ على إدراج كتاب إظهار المنة في عداد المؤلفات الصوفية لأبي سالم العياشي، وهو في تقديري إخراج للكتاب من مجاله الأم وهو الحديث والسير وتراجم الصحابة.

الهوامش:

(1) "سِجِلْمَاسة بكسر أوله وثانيه وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة، مدينة في الجنوب المغربي "، **معجم البلدان ياقوت الحموي**، لبنان، بيروت، دار صادر، ط 2،1995م، 192/3، وحاليا هي منطقة بالجنوب الشرقي للمغرب جنوب الأطلس الكبير وسط واحة كبيرة تشكل موقعا أثريا، وتبعد عن زاوية أبي سالم حوالي 140 كلم.

(2) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** لابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت ط1/ 1992م، المقدمة 1/1

(3) الأصل من " إظهار المنة على المبشرين بالجنة " المقدمة، لوحة رقم 1

(4) لم يشر المؤلف في المقدمة إلى السبب المباشر لتأليف هذا الكتاب، واكتفى فقط بالإشارة إلى ضعف الرواية، وسوء فهم الحديث النبوي، وهذا خلاف ما جاء في بعض تآليفه الأخرى التي أشار في مقدمتها إلى سبب التأليف صراحة، يُنظر مقدمة النص المحقق من كتاب: الحكم بالعدل والإنصاف، حيث جاء فيها قول العياشي – رحمه الله: "في سبب الجمع لهذه الرسالة، التي أسأل الله تعالى بوجهه الكريم ووجاهة كل وجيه عنده أن يوفقني فيها إلى ما هو الحق والصواب، وذلك أن بعض السفار ممن أطال الاقامة بسجلماسة وله ماسة بالطلب ورد علينا مجتازا فأخبرني أنه وقع بين بعض فضلائها وأماثل علمائها ممن جمع بين العلم والعمل نزاع كبير وخلاف كثير ؛أدى إلى تضليل بعضهم لبعض، بل إلى تكفيره، فاستفهمته عن حقيقة ذلك وسببه وشرحه "مرجع سابق، 116/1.

(5) النسخة الأصل من " إظهار المنة على المبشرين بالجنة " المقدمة، لوحة رقم 1

(6)النسخة الأصل من " إظهار المنة على المبشرين بالجنة " المقدمة، لوحة رقم 1

(7)يقول المؤلف مشيرا إلى قاعدة الرواية بالمعنى: "بل اقتصرت على محل الحاجة منها مع تبديل اللفظ في بعض الأحيان" الأصل لوحة عدد 1

(8)النسخة الأصل لوحة عدد 5.

(9) النسخة الأصل لوحة عدد 4.

(10) قال المؤلف في المقدمة: "جل حكمه في الأزل، أن ينضاف إلى العلل "، النسخة الأصل لوحة عدد 1، وهي حكمة عطائية

(11) الإشارة إلى حادث مقتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ في سياق الترجمة له في الفصل الأول من الكتاب الخاص بالمبشرين من قرابته عليه الصلاة والسلام. يُنظر كتاب إظهار المنة، الأصل لوحة عدد 6.

(12) يظهر ذلك في كون المؤلف بدأ بقرابة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم العشرة المبشرين ثم كبار الصحابة والتابعين. ثم من لم تتعين أساميهم من المبشرين بالجنة، ثم النساء، ثم التابعين وتابعيهم بإحسان. ويظهر ذلك في التسلسل المنهجي في أبواب الكتاب.

(13) النسخة الأصل من " إظهار المنة على المبشرين بالجنة " لوحة عدد: 1.

(14) قال المؤلف في المقدمة " وذكرت البعض ممن شهد له وليس من هذه الأمة ". الأصل من إظهار المنة لوحة عدد 1.

(15)هذا هو الباب الخامس من الكتاب، وقد ترجم له المؤلف بعنوان: الباب الخامس فيمن من لم تتعين أسماؤهم، وقد جرد المؤلف رحمه الله من من كتب الحديث عددا من الأحاديث الدالة على ذلك.

(16) المقدمة من النسخة الأصل لوحة عدد 1

(17) قال الإمام أحمد: ولا تتأل على أحد من المسلمين أن تقول فلان في الجنة وفلان في النار إلا العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة " مناقب الإمام أحمد، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الثانية، 1409 هـ ص 228

(18) المقدمة من النسخة الأصل لوحة عدد 1

(19) يُنظر: كتاب المؤلفات المغربية في السيرة النبوية، د محمد يسف، طبعة مكتبة المعارف الرباط عام 1986م.، 2 / 6 بتصرف.

(20) الأصل من " إظهار المنة على المبشرين بالجنة "لوحة عدد: 2

(21) يُنظر: النسخة الأصل من " إظهار المنة على المبشرين بالجنة " الخاتمة لوحة عدد 33

(22)يُنظر: دراسة اقتفاء الأثر مرجع سابق ص 47 بتصرف.

(23) يُنظر: نسخة آل سعود لوحة عدد 94.

(24) يُنظر مخطوط إظهار المنة النسخة الأصل لوحة عدد 1.